إهـــداء

إلى . . . .

أستاذى العلامة محمد خلف الله أحمد . .

هدية إكبار واعتراف بجميل الفضل

وسداد التوجيه .

لك أيها القارئ

الكتاب جزء من كيان الكاتب ، وقبس من روحه ودمه وقلبه ، يصاحبه كما يصاحب الوالد ولده ، ويتعهده بكل ما لديه من قوة ويصرف عليه ما يملك من جهد ليراه نضرة النفوس وابتسامة الثغور . حتى يستوى على ساقه فتعجب الباحث أصالته ويرضى عنه .

وهذا الكتاب جزء عزيز علىَّ فقد صرفت معه أحلى سنىّ حياتى راضياً مسروراً ، لأنى شغفت بالشعر طفلاً ، وزهوت بحفظه يانعاً ، ورضيته معبراً عن أحاسيسى شاباً يافعاً ، ونما معى حب الشعر وموسيقاه ، ونَمَتْ معى عواطف الشعراء وأحلامهم ، وكنت منكبًّا عليها تغمرنى اللذة والرضا ، ويدفعنى الشوق وأخذت أجمع ما يقع بين يدى من مختارات ثم أمزقها عندما أبلغ من العمر مرحلة ، وجمعت دواوين الشعراء على اختلاف أنواعها غير مفرق بين قديم وحديث ، حتى جمعت مالم أكن أفهمه وأطلب شرحه من مدرسى فيضجر من الإلحاف ظانًّا أننى أمتحن قدرته .

وقد استهوانى الرصافى لأنه كان ينبض بالحياة التى نحياها ، وكتبت عنه أول بحث فى الجامعة . وقد كانت التفاتة كريمة من أستاذى العلامة محمد خلف الله أحمد عندما اصطفانى طالباً لإكمال الماجستير تحت إشرافه وهو الشاعر الرقيق والذواقة المرهف الإحساس ، واقترح علىَّ أن أكتب عن (الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر) فسرت فى هديه ، وتحت دربته ، ووفقت بما بذله لى من عون لا ينسى ، وتوجيه لا يبلى . وسرت فى الطريق العلمى حتى وصلت القرن العشرين الذى أحسست بآلامه ، وشعرت بأوجاعه . فكان كتابى هذا (الشعر العراقى الحديث) الذى كلفنى ما كلفنى أخوه الأول .

وبدأت قصة هذا الكتاب عندما عدت إلى العراق بعد الحصول على الماجستير فأخذت أطالع الجرائد العراقية من صدورها واتخذتها قاعدتى الأولى فى البحث لأن ما ينشر فيها لا يغيّر متى اختلفت سياسة الحكومة واتجهت وجهة جديدة ، وتبقى قوة الشعر وشعور الشاعر دون تبديل أو تغيير حتى إذا غيّرها خوفاً أو رهبة أو طمعاً . وسافرت إلى البصرة فى صيف العراق ووجدت فى مكتبة باش أعيان بعض هذه الجرائد وكنت خلال عملى

فى تفحص الجرائد أبعث برسائل دورية للشعراء صغيرهم وكبيرهم مغمورهم والمشهور منهم واتصلت بمن أعرف منهم – وأعرف جُلّهم – كما أعلنت إعلانات متنوعة فى الجرائد والمجلات راجياً فيها الشعراء أن يتفضلوا بمساعدتى ، ومنهم من لم تتح لى الظروف للتشرف بمعرفتهم . ولما أنجزت ما قَدْرتُ على إنجازه فى العراق سافرت إلى تركيا وبحثت فى مكتبات الآستانة وذهبت إلى باريس وفتشت فى المكتبة الوطنية ومكتبة فرسايل وفى أثناء إقامتى فى إنكلترا بحثت فى مكتبة المتحف البريطانى ومكتبة معهد اللغات الشرقية والإفريقية وكانت معى خلاصة أخذتها من مكتبات بيروت والقاهرة والإسكندرية .

وبدأت فى كتابة هذا الكتاب باللغة الإنكليزية فكانت مشقة جديدة وجهداً عميق الأثر وخير معبر لهذا الجهد ما كتبته لصديق فى أول أيام وصولى لندن قلت له (أكتب إليك والقلم يهتز فزعاً من عميق مشاعرى وحنينى إلى الوطن وسأهتز منه فزعاً عندما أكتب بعد ذلك باللغة الإنكليزية) فقد كانت الترجمة وخاصة الشعر عسيرة علىَّ لأنى حاولت نقل أحاسيس الشاعر كما أتحسسها على أن أحافظ على الذوق الأوربى فحاولت أن أترجم حرفيًّا فلم يكن المعنى واضحاً ثم أردت أن أترجم المعانى وكان من العسير علىَّ ترجمة التورية والجناس والمحسنات اللغوية الأخرى بسهولة ويسر ، وأخيراً مزجت بين الطريقتين فاستقام لى بعض الأمر .

وعدت إلى العراق بعد أن أنهيت دراستى وعكفت على ترجمة ما كتبته باللغة الإنكليزية فوجدته سهلاً بسيطاً أقرب إلى لغة العلم منه إلى لغة الأدب فاضطررت إلى إعادة الكتابة مرة أخرى ناسياً التكوين الذهنى الذى اكتسبته فى أوربا وحاولت أن أجليه عربيًّا سليماً وعساى وفقت .

كان موضوع البحث شائكاً لأمرين ، الأول : أنه يبحث فى أمور ما كانت مقبولة رسمياً وتجر كاتبها إلى المتاعب ، فقد تطرقت إلى الإقطاع والفقر والمرض والجهل وذكرت أثر الاستعمار وموقف الحاكمين منه الذين كانوا فى الحكم . والثانى : أن البحث يقدم إلى جامعة إنكليزية وأنا عربى أبحث مشكلات وطنى وأكتبها للإنكليز ، الذين سيقررون مصيرى ومستقبلى وطالما نصحت أن أترك هذا البحث وألا أتطرق إلى هذه المشكلات أو أن أخفف من حقيقتها ولكنى أبيت إلا المضى فى الطريق السليم وإبراز الحقائق ورسم صورة جلية صادقة عن العصر الذى أدرسه ، حسب طاقتى وقدرتى لأن مشكلات العراق هى مشكلات العرب أجمع ومشكلات الإنسانية جمعاء وتفهمها يعجل

فى حلها . وقد كانت هيئة الامتحان منصفة كل الإنصاف فلم تتحيز برغم ما فى البحث من حقائق مرة ، وأوصت بطبعه تقديراً له ، فضربت مثلا كريماً فى حرية الفكر وتقديسه .

بعد أن اتخذت الشعر قاعدة أستند عليها عوّلت على توضيح الحياة السياسية والاجتماعية فى دراسة التاريخ فوجدت شعر هذه الفترة مثل عصره أوضح تمثيل وأصدقه . ووقفت البحث حتى سنة ١٩٣٩ لسببين ، الأول : ظهور اتجاهات جديدة على الشعر العراق لم تكن متبلورة وكانت فى فترة التطور ، والحكم على أمر غير ناضج أو مستقر لا يقره البحث العلمى ، ثم أتيحت لى فرصة لإخراج كتاب آخر عن (الشعر العراق المعاصر) سأبحث فيه التيارات الشعرية التى عاصرتها وعشت فى جوها . والسبب الثانى ، أن العراق بعد هذه الفترة مرّ بأزمات سياسية دعت إلى إعلان الأحكام العرفية ومنع كل شاعر لا يسير فى ركاب الحاكمين والاستعمار أن يعبر عن رأيه ، وقيدت الآراء وضغطت على الحريات العامة وهددت المفكرين وساقت إلى المعتقلات والسجون من ساقت واتهمت آخرين بتهم شتى ، فعاش الفكر فى محنة جرته إلى ركوده وضمور قواه ، فسجل التاريخ فترة تحكم فئة قليلة بأكثرية أبناء الشعب محاولة توجيهها نحو الوجهة التى تريدها .

وليس هذا الكتاب كل ما كتبته باللغة الإنكليزية فقد شمله الحذف والإطالة ليتناسب والذوق العام ولكنه يحوى الأسس الأولى واتجاهاتها وروحها فهو أكثر منها فى بعض أقسامها وأصغر منها فى جميعها ولابد من الإشارة إلى أننى درست تيارات العصر واعتمدت كثيراً على المنشور من الإنتاج فإن فاتنى بعضه فما تركته إهمالاً ، ومعذرة لمن لم أتعرف عليه .

حسبى أنها محاولة من طالب أدب يقدمها للأدب العربى الخضم أردت بها أن أخدُمَ أمتى ولست بالعالم الذى لا يخطئ أو الكامل الذى لا يعتريه الشك ، ولكننى أقولها صريحة إننى بذلت جهدى ووضعت عن كاهلى بعض العبء وألقى تبعة نقصه على الشعراء والكتاب الذين يجدون فيه ما يقرّبه نحو الصواب والحقيقة ولا يفعلون ، سواء فى النقد أم فى النصح أم بالتقويم ولست بمستكثر على أحد تقويمى ونقدى ونصحى وسيجدنى من الراضين الشاكرين .

ولا يسعنى إلا شكر أولئك الأجاويد الذين مدّوا لى يد المساعدة سواء فى إنكلترا أم فى العراق مهما كان نوعها سواء أكانت إعارة جريدة أم كتاب أم تصحيح ملزمة من الملازم أم جواباً عن رسالة كتبتها له أم مساعدة فى الكتابة على الآلة الكاتبة وهم كثر منهم

الأستاذ الجليل الفريد كيوم A. Guillume والأستاذ آربرى A. J. Arberry والأستاذ سارجنت R. B. Serjeant والأستاذ داود كون D. Cown وجون كوكس J. Cox وجون براون J. Brown وأسرة فراير Frier والدكتورة حكمت أبو زيد والأخ العقيد عبد الرحمن التكريتى والأستاذ عبد الستار القره غولى والدكتور إبراهيم السامرائى والأستاذ أحمد ناجى القيسى والأخ يحيى جاسم والشاعر عبد الرزاق بستانه والشيخ على الشرق والأستاذ مصطفى على والشيخ فريق مزهر الفرعون ، كما أشكر جميع موظفى المكتبات فى لندن وباريس وإستانبول وبيروت والقاهرة ومكتبة المتحف العراقى منهم السيد حكمت فتوحى والآنستين ساجدة العزى وفكتوريا مولود والسيد عبد المجيد عبد على .

وختاماً أيها القارئ ما أنا إلا طالب أدب أتحرى الحقيقة جهدى فمعذرة مما وقع لى من أخطاء ولا تأسف على ما دفعت ثمناً لهذا الكتاب . نرجو الله أن يأخذ بيدنا نحو السداد بما فيه خير هذا الوطن وهذا الشعب ، فمن أجله نحيا ومن أجله نبحث ونتحرى عن الحقيقة لنراه رافلاً بالسعادة والخير .

بغداد رجب الأصم سنة ١٣٧٩ الهجرية — **يوسف عز الدين**

مطلع عام ١٩٦٠ الميلادى